– ولكن عتيبة سيطير فلا يقع.

– لقد هممت إذن؟

– نعم.

– وتعرف سبيكةُ أنك ذاهبٌ لحرب الروم؟

– قد عرفَتْ.

– وطابت بذلك نفسًا؟

– قد طابت نفسًا ورضِيَتْ.

– حسبتُها تأبى أن يشرع ولدُها سيفًا لحرب الروم.

– ولِمَهْ؟

– لأن ... لأنها قد عرفت ما حرب الروم.

– لم أفهم!

– أعني أنها كانت خليقةً بأن تُشفِقُ عليك.

– عليَّ؟ ...

– وعلى غيرك.

– من تعنين؟

– رجوت أن تشفق أمك عليك وعلينا، من سوء ما ينالنا به فراقُك.

– بل عنَيْتِ معنًى آخر يا أُم!

– أيُّ معنى؟

– تسألينني؟

– لقد ظننتني أُضمِرُ وراء كلماتي معنًى غير ما فسَّرتُ لك، فسألتُك ...

– بل إنكِ لتُضمِرين معنًى آخر ...

وكانت نوار صامتة تستمِع إلى ما يدور بين الفتى وجدته من حوارٍ بدأ رفيقًا هيِّنًا، ثم أوشك أن يكون خصامًا، فقالت في رقَّة: إنَّ جدتك لتعرِف حميَّتَك يا ابن عم، ولكنها تُشفِقُ عليك وتجزع لفراقك، وإنك لتذكر ما قلت لك قبل أن تتحدث إليك جدتُك ...

فاعتدلت الجدة في مجلسها، ونظرت إلى نوار قائلة: هل قلتِ له؟

– حاولت يا أم أن أحول بينه وبين ما اعتزم، فلم يستمِع إليَّ.

– أكذلك يا عتيبة؟

– نعم.